الزهراء: مجلة تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية والعربية
e-ISSN: 2502-8871
p-ISSN: 1412-226X
DOI: http://dx.doi.org/10.15408/zr.v20i2.34069
السنة العشرون، العدد: ٢، ١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م
هذا المنشور متاح مجانا بموجب ترخيص نسبة المصنف إلى مؤلفه CC-BY-SA
https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/

الإشارات القرآنية إلى الزراعة: دراسة تحليلية في ضوء مقاصد الشريعة

◊ محمد حمد كنان ميغا
جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية – بروناي دار السلام
maiga.mohamed@unissa.edu.bn

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى بيان العلاقة بين الإنسان وهذه الأرض التي نعيش على ظهرها، وذلك من خلال الإشارات القرآنيّة إلى الزراعة الدالة على أنّ الأرض هي أصل الإنسان ومستقرّه، جعلها الله سبحانه ثابتةً يستقرّ عليها الإنسان دون أن تميد بهم، وأنّ الله هيّأ هذه الأرض لحياة الإنسان، وأوضع فيها من جميع متطلّبات الحياة؛ الماء، الأكسجين، النبات الشجر، المعادن، والحيوانات المسخّرة للإنسان، الخ. خلق للإنسان جميع ذلك وسخّرها له ليقيم بها حياته الدنيوية لحياته الأخرويّة، في إطار مسؤولية الاستخلاف في الأرض، وفي ضوء مقاصد الشريعة. وقد اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي للكشف عن هذه العلاقة وكيفية استغلالها لتحقيق رفاهية الإنسان في هذه الحياة، وسعادته الأخروية. وخلصت الدراسة إلى أنّ الأرض هي الكوكب الوحيد الذي هيّأه الله لحياة الإنسان، وبالتالي يجب على الإنسان أن يستثمر هذه الأرض بالزراعة لضمان معاشه ورفاهيته، وأن يشتغل فيها بالتخطيط والتنظيم والعدالة من أجل ضمان التنمية المستدامة.

تاريخ إصدار المقال :
تاريخ الاستلام: ١٧ مارس ٢٠٢٣
تاريخ المراجعة: ٢ مايو ٢٠٢٣
تاريخ القبول: ٨ نوفمبر ٢٠٢٣

الكلمات المفتاحية:
الإشارات القرآنية، الزراعة، مقاصد الشريعة

Al-Zahra: Journal for Islamic and Arabic Studies
e-ISSN: 2502-8871
p-ISSN: 1412-226X
DOI: http://dx.doi.org/10.15408/zr.v20i2.34069
Vol. 20, No. 02, 2023 M-1445 H
This is an open access article under CC-BY-SA license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

The Quranic References to Agriculture: an Analytical Study in the Light of Maqàsid Al-Shariah

◊ **Mohamed Hamadikinane Maiga**

University Islam Sultan Sharif Ali – Brunei Darussalam
Maiga.mohamed@unissa.edu.bn

Article History
Received: March 17, 2023
Revised: May 2, 2023
Accepted: November 8, 2023

Keywords
Qur'anic References, Agriculture, Purpose of Shariah

Abstract

This study aims to demonstrate the relationship between man and this earth on which we live, through the Qur'anic references to agriculture, which indicate that the land is the origin of man and his settlement. Allah Almighty made it a firm foundation for man to rest on without it swaying from them. And he (Allah S.W) has prepared this earth for human life, and placed in it all the requirements of life; Water, oxygen, trees, plants, minerals, humanized animals, etc. He (Allah S.W) created all that for man and subjected it to him to establish his worldly life for his life in the hereafter, within the framework of the responsibility of succession in the earth, and in the light of Maqàsid Al-Shariah. The researcher followed the descriptive analytical approach to reveal this relationship and how to exploit it to achieve human well-being in this life, and happiness in the hereafter. The study concluded that the earth is the only planet that Allah has prepared for human life. Hence, man must invest this land in agriculture to ensure his livelihood and well-being, and to engage in planning, organization and justice in order to ensure sustainable development.

المقدمة

لقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، من طين لازب ثم من نطفة إذا تمنى، وشرّفه وكرّمه بالعقل التمييزي، وهيّأ له جميع سبل الحياة، وهداه النجدين، ليخطّط لنفسه حياته، وليحقّق بالعمل الصالح سعادته الدنيويّة والأخروية. من هذه الخلفيّة تنطلق هذه الدراسة لتبيّن الصلة الوطيدة بين الإنسان والأرض التي هيّأها الله لهذه الحياة الدنيا بما أودع فيها من ضروريّات الحياة التي لا يستغني عنها الإنسان، وعلى رأس تلك الضروريّة الماء والأكسجين والجاذبيّة الملائمة للاستقرار على ظهر الأرض لاستعمارها بالزراعة واستخراج خيراتها وكنوزها بالعمل، لضمان أمنه من الخوف والجوع.

يُعتبر الزراعة في الإسلام أحد الجوانب الهامة التي تعكس التوجهات الإلهية والقيم الدينية. تتسلح هذه الدراسة بفهم عميق للمقاصد الشريعية، حيث تُظهر الدراسات السابقة تأصيل القيم الزراعية في المفاهيم الإسلامية. تشير دراسة "ضوابط إحياء الأراضي الأموات" (الشريف، ١٤٣٢هـ) إلى أهمية استدامة الزارعة لتتناغم مع المفهوم الإسلامي للحفاظ على الأرض والمواد الطبيعية، بينما تلقي دراسة "العوامل المؤثرة في اختلافات النباتات في اللون والطعم" (موسى، ٢٠٢٣م) الضوء على تنوع الخلق الإلهي وكيف يمكن أن تكون هذه الاختلافات مظهرًا للحكمة الإلهية ولتشجيع المزارعين على تقدير التنوع البيئي، ومن جهة أخرى، تُظهر دراسة "الحرث والزرع في القرآن الكريم" (عبد الرحمن، ٢٠١٥م) كيف يتجلى الحرص والعناية في العمل الزراعي كقيم إسلامية ترتبط بالقاصد الشرعية كحفظ النعم والمحافظة على الرزق. ومن خلال دراسة "النظام الزراعي في القرآن والسنة ومظاهر إعجازه" (عبد الهادي، ٢٠٢٣م) يتم استكشاف كيف يُشجع الإسلام على بناء أنظمة زراعية فعالة ومستدامة مما يتناسب مع المقاصد الشرعية من تحقيق الرفاه والعدل في المجتمع. وأخيرًا، تسلط دراسة "كيف حث الإسلام على الزراعة والغراسة من خلال القرآن والحديث والفقه" (أحمد، ١٩٩٩م) الضوء على التوجيهات المباشرة للمزارعين والمهتمين في هذا الميدان.

وما يثار في بعض الدّراسات الغربيّة عن المحطة الفضائية نازا بأنّ هناك أثرًا للماء في بعض الكواكب مما يشير إلى إمكانية عيش الإنسان فوق تلك الكواكب في المستقبل، وربما اغتر بهذه الدراسات بعض المسلمين، رغم أنّ الدلالات القرآنية واضحة في بيان ارتباط حياة الإنسان بهذه الكرة الأرضية. وهذه الدراسة تسعى لحل هذه الإشكاية من خلال تحليل الإشارات القرآنية تحليلا مقاصديًّا لبيان علاقة الإنسان بالأرض وما يرتبط بذلك من استثمار الأرض وإحيائها بالزراعة، حفظا للضروريّات الخمس التي هي الدين والنفس والعقل والنسل والمال.

يتمثل هدف هذا البحث في بيان علاقة الإنسان بالأرض من خلال الإشارات القرآنية، توضيح مقاصد الشريعة من الإشارات القرآنية إلى الزراعة، الكشف على أثر الموقع الجغرافي للأرض الزراعية على نوعيّة الإنتاج وكمّيّته، وإظهار أثر إحياء الأرض بالزراعة في التنمية المستدامة.

منهجية البحث

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي المبني على جمع البيانات من مصادرها المختلفة الورقيّة منها والإلكترونية، ثم تصنيفها وفق خطة البحث ثم تحليلها تحليلا دقيقًا يحقّق أهداف البحث ونتائجه.

الإشارات القرآنية إلى الأرض وعلاقتها بالإنسان

الأرض هي أصل الإنسان منها خُلق الإنسان الأول آدم عليه السلام، وهي مستقرّ الإنسان فيها معاشه وإليها معاده، قال الله تعالى: ﴿۞مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ٥٥﴾، (طه:٥٥). وقال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾، (هود: ٦١). وقال تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٦١﴾، (النمل:٦١). أي: "أعبادة ما تشركون أيها الناس بربكم خير وهو لا يضر ولا ينفع، أم الذي جعل الأرض لكم قرارا تستقرون عليها لا تميد بكم" (جرير، ٢٠٠١م) ذلك أنّ الأرض هي الكوكب الوحيد الذي هيّأه الله لحياة الإنسان، بما أوضع فيها من جميع متطلّبات الحياة؛ الماء، الأكسجين، النبات الشجر، المعادن، والحيوانات المسخّرة للإنسان، الخ.

خلق الله ما في الأرض جميعا للإنسان وسخّرها له، لذا كان من لوازم استقرار الإنسان على هذه الأرض أن يعتني بها ويحييها وينمّيها بالزراعة قصد توفير غذائه، واستقرار معاشه لتحقيق التنمية المستدامة للأجيال المتعاقبة. ولا يمكن للإنسان أن يعيش ويستقر على كوكب آخر غير الأرض بدلالة الآيات القرآنية على أنّ الأرض هي مستقرّ الإنسان، وأنّها مذلّلة للإنسان للمشي عليها بتوازن واستخراج خيراتها بالزراعة وغيرها، كما في سورة الملك، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥﴾، (الملك: ١٥). وقال تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ١٠ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ١١ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ١٢﴾، (الرحمن: ١٠-١٢). وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ١٩ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ٢٠﴾، (نوح: ١٧- ٢٠).

بالإضافة إلى مسؤولية الاستخلاف، ذلك أنّ الله سبحانه "لم يخلق الإنسان على وجه هذه البسيطة عبثًا، وإنما خلقه وفضّله على كثير من خلقه، ليقوم برسالة سامية في هذه الحياة، فقد استخلفه في الأرض وكرّمه بالعقل، وحمّله مسؤولية عمارة الأرض والحفاظ على خيراتها، واستثمار غلاتها، بعد أن زوّده بطاقات روحية، ومؤهلات فكرية، وخلق له هذه الأرض ذلولا سهلة ليتمكن من السيطرة عليها، وتسخيرها لخدمته... ولايمكن للإنسان الذي شرّفه الله باستخلافه في الأرض، وحمّله مسؤولية عمارتها أن يعيش فوقها إلا إذا قام بهذه الرسالة السامية، وذلك بالعمل المتواصل على استخراج كنوزها وخيراتها واستغلال مكنوناتها، وهذا لايتأتى له إلا بواسطة زراعتها وغرسها ". (أحمد، ١٩٩٩م).

وتعتبر النباتات من أهم العناصر الموجودة على الأرض والتي تدعم حياة الكائنات الأخرى. يقول المهندس حاتم البشتاوي: - في تحليل قوله تعالى: ﴿ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا ﴾، (الأنعام:٩٩) - "النبات والخضر من آيات الله في الأرض، ومن بدائع صنعه في الخلق والتقدير، والنبات كائن حي يتنفّس وينمو ويكبر ويحيا ويموت حسب سننه تعالى في الكون، فهو يسجد لعظمته ويسبّح بحمده، وقد سخّر الله النباتات للإنسان، يأكل منها، ويتنفّس هواءها، ويتمتّع بما تخرجه من بطونها؛ غذاء ودواء وكساء وجمالا وبهجة، حتى لدواب الأرض وطيورها وحشراتها. ويشمل الخضر كل أنواع النباتات؛ الغابات الكثيفة، والأشجار الباسقة، والحدائق ذات البهجة، والثمار اليانعة، والمراعي الخضراء، والأزهار والورود، والرياحين، والأعشاب والبذور بمختلف الألوان والأصباغ والأشكال والأحجام والأوراق.

والعائلة النباتية هي الحياة لكل ما دبّ على الأرض من البشر والحيوانات وطيور السماء، ولولا هذا الخضر ما كان للبشريّة أن تعيش لحظة على سطح الأرض" (حاتم، ٢٠١٧م) فقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا﴾، (الأنعام:٩٩) فيه امتنان من الله تعالى على البشر بهذه النعمة العظيمة التي هي قوام الحياة، وفي الآية إشارة إلى علاقة تلازمية بين الإنسان والأرض تستلزم العمل والتخطيط والتسيير قصد ضمان الأمن من الخوف والجوع للبشر، وتحقيق السعادة الأخرويّة بشكر هذه النعمة. ذلك أنّ الإنسان يعيش علاقات ثلاثية الأبعاد، هي علاقته بالأرض والكون، وعلاقته بالله عزّ وجلّ، وعلاقاته ببني جنسه من البشر (عبد الرحمن، ٢٠١٥م) وهذه العلاقات الثلاثية متلازمة يجب على الإنسان الحفاظ عليها بالعمل والعدل والطاعة في إطار مسؤولية الاستخلاف في الأرض. عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلَ مِنْهُ طَيْرٌ، أَوْ إِنْسَانٌ، أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ» (البخاري، ٢٠٠١م).

الإشارات القرآنية إلى أهمية إحياء الأرض ومقاصده

قد وردت إشارات متعددة في القرآن الكريم تحثّ على إحياء الأرض الميتة، ففي سورة يس آية: ٣٣، فائدتان: إحداهما العلامة الدالة على قدرة الله على إحياء الموتى، وتلك العلامة هي إحياء الأرض الميتة التي لا نبت فيها بالمطر. والفائدة الثانية: الترغيب في الزراعة لما فيها من ضمان غذاء الإنسان، تحقيقا لمقصد حفظ النفس والمال والدين. قال تعالى: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ٣٣ وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ ٣٤ لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۖ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ٣٥﴾، (يس: ٣٣- ٣٥). قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: ودلالة لهؤلاء المشركين على قدرة الله على ما يشاء، وعلى إحيائه من مات من خلقه وإعادته بعد فنائه، كهيئته قبل مماته إحياؤه الأرض الميتة، التي لا نبت فيها ولا زرع بالغيث الذي ينزله من السماء حتى يخرج زرعها، ثم إخراجه منها الحب الذي هو قوت لهم وغذاء، فمنه يأكلون" (الطبري، د.ت.) ﴿أَوَ لَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡۖ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ ٢٧﴾، (السجدة: ٢٧)، والحكمة من هذه الآية بيان قدرة الله على إحياء الموتى، التي تتضمّن حفظ الدين، وذلك أنّه سبحانه الذي فعل ذلك كله للإنسان هو الوحيد المستحق للعبادة.

وقد تضمّنت الآية إشارة إلى الاهتمام بالزراعة لما فيها من ضمان غذاء الإنسان والحيوان، وذلك حفظًا للنفس والمال. قال الطبري: "والجرز: لا شيء فيها، لا نبات ولا منفعة... يقال: جرزت الأرض فهي مجروزة، وجرزها الجراد والنعم، وأرضون أجراز: إذا كانت لا شيء فيها. ويقال للسنة المجدبة: جرز، وسنون أجراز لجدوبها ويبسها وقلة أمطارها" (الطبري، د.ت.) فقد دلت الآيات السابقة من سورة يس وسورة السجدة على أنّ الله هو الزارع الحقيقي؛ لأنّه هو الذي يحيي الأرض، ويخرج الحبّ، ويجعل الجنات، ويفجّر الأنهار، وأنّ الإنسان مجرّد وسيلة في العمليّة الزراعيّة، ومن ثمّ يجب عليه أن يتعاطى كل الأسباب الممكنة بجدّه وجهده وعقله لإنجاح هذه العمليّة (عبد الهادي، ٢٠١٥م) ولهذا قال تعالى في سورة الواقعة: ﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ ٦٣ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ٦٤ لَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَٰهُ حُطَٰمٗا فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ ٦٥﴾، (الواقعة: ٦٣- ٦٥).

وقال تعالى تنبيها على قدرته سبحانه في تسخير جميع ما في الكون للإنسان: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٦٤﴾، (البقرة: ١٦٤). هذه الآية فيها تذكير الإنسان بنعم الله تعالى عليه التي منها إحياء الأرض الميتة بإخراج نباتها التي توفّر غذاء الإنسان والحيوان، وهذا مقصد شرعي لحفظ النفس. وفيها كذلك الدلالة على أهمّية العقل وضرورة استعمال الحقائق الكونية الملموسة التي تدل على قدرة الله تعالى، والمقصد الشرعي من ذلك حفظ العقل والدين من خلال الإيمان بقدرة الله ووحدانيّته.

وتلك الإشارات تبيّن أهميّة تدخل الإنسان في إحياء الأرض باستصلاحها وحرثها لما يحققه ذلك من توفير الغذاء ودعم الصناعة، وتوفير فرص العمل، وتحقيق التنمية المستدامة. ذلك أنّ إحياء الأرض الموات يفتح باب الاستثمار في الأراضي لجميع فئات المجتمع، مما يوفّر العمل للعاطلين، وينشّط الإنتاج ويرفع اقتصاد المجتمع. والحكمة في دعوة الناس لإحياء الأرض تتجلّى في تعجيل منافع إحيائهم للأرض، بتمليكهم إيّاها، وفي ذلك عظيم النّفع للفرد خاصّة، وللمجتمع عامّة؛ فذلك يمنح الفقراء والمعدومين فرصةّ الثراءِ والغنى، وذلك ممّا يساهم في حلّ مشكلة الفقر المنتشرة في المجتمعات الإسلاميّة، كما يحقّق إحياء الموات أكبر مشروعٍ للقضاءِ على البَطَالةِ...وبذلك تكون الأراضي الموات ثرواتٍ حقيقةَ، وموردًا عظيمًا من موارد الأمم (الشريف، ١٩٩٨م) ومن ثمّ فإن الإشارات القرآنية تنبّه الإنسان على ضرورة شكر الله على هذه النعمة، التي ترجع أولا وآخرًا إلى قدرة الله تعالى وتدبيره فهو سبحانه وتعالى الزارع الحقيقي، والإنسان ما هو إلا متّخذ للأسباب التي تؤدي إلى إخراج نباتات الأرض من المزروعات.

الإشارات القرآنية إلى أثر الموقع الجغرافي للأرض الزراعية في الإنتاج

أشار القرآن الكريم إلى أنّ الربوة من الأرض تنتج ضعف ما تنتجه غيرها من الأراضي المنخفضة في سورة البقرة الآية ٢٦٥ في سياق بيان الفرق بين المنفق رياء والمنفق إخلاصا. وقد بيّن المفسرون سر إعطاء هذه الأرض أكلها ضعفين سواء أصابها وابل أو طلّ، فقال بعضهم: "مطر قليل يكفيها لطيب تربتها وارتفاع مكانها، فأقلُّ شيء يكفيها" (الفاسي، ١٩٩٨م) وذلك أنّ الربوة - وهي الأرض المرتفعة قليلا وذات ترتبة زراعية غنيّة – غالبا ما يكون نبتها أحسن وأغزر وريعها أكثر، ومنظرها أجمل؛ "لأنها أكمل من الجنة التي بالوهاد والحضيض، لأنها إذا ارتفعت كانت بمدرجة الأهوية والرياح. وكانت ضاحية للشمس وقت طلوعها واستوائها وغروبها. فكانت أنضج ثمرًا وأطيبه وأحسنه وأكثره، فإن الثمار تزداد طيبًا وزكاء بالرياح والشمس" (ابي بكر، ١٩٨٩م) وذلك قول الله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٦٥﴾، (البقرة: ٢٦٥). قال الطبري: "والرَّبوة من الأرض: ما نشز منها فارتفع عن السيل. وإنما وصفها بذلك جل ثناؤه، لأن ما ارتفع عن المسايل والأودية أغلظ، وجنان ما غلُظ من الأرض أحسنُ وأزكى ثمرًا وغرسًا وزرعًا، مما رقَّ منها" (الطبري، د.ت.) وهذا الذي ذكره الطبري هو رأي جمهور المفسرين، منهم الماتريدي، حيث قال: "لما علم عَزَّ وَجَلَّ رغبة الناس مرة في العدد في الدنيا، ومرة في البساتين المرتفعة أرضها وتربتها ليشرفوا على غيرهم من الخلائق والبقاع، ومرة في الكثير من الأشياء والعظيم منها رغّبهم عَزَّ وَجَلَّ في الصدقة بما ذكرنا من الأشياء لعلمه

برغبتهم فيها، ليرغبوا في ذلك. والله أعلم" (الماتريدي، ٢٠٠٥م) ومن القائلين به العز بن عبد السلام حيث قال: "(بِرَبْوَةٍ) مكان مرتفع، نبتها أحسن، وريعها أكثر" (عبد السلام، ١٩٩٦م) وكذلك القرطبي حيث قال: "وَالرَّبْوَةُ: الْمَكَانُ الْمُرْتَفِعُ ارْتِفَاعًا يَسِيرًا، مَعَهُ فِي الْأَغْلَبِ كَثَافَةُ تُرَابٍ، وَمَا كَانَ كَذَلِكَ فَنَبَاتُهُ أَحْسَنُ، وَلِذَلِكَ خَصَّ الرَّبْوَةَ بِالذِّكْرِ" (القرطبي، ١٩٦٤م) وبمثل ذلك قال البيضاوي: "كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أي ومثل نفقة هؤلاء في الزكاة، كمثل بستان بموضع مرتفع، فإن شجره يكون أحسن منظراً وأزكى ثمراً" (البيضاوي، ١٩٩٧م) وقال ابن القيم: "وهذا هو صدقها وطلب مرضاة الله إرادة وجهه وحده وهذا إخلاصها فإذا كان مصدر الإنفاق عن ذلك كان مثله كجنة- وهي البستان الكثير الأشجار- فهو مجتنّ بها أي مستتر ليس قاعا فارغا.

والجنة بربوة وهو المكان المرتفع، لأنها أكمل من الجنة التي بالوهاد والحضيض، لأنها إذا ارتفعت كانت بمدرجة الأهوية والرياح. وكانت ضاحية للشمس وقت طلوعها واستوائها وغروبها. فكانت أنضج ثمرًا وأطيبه وأحسنه وأكثره، فإن الثمار تزداد طيبًا وزكاءً بالرياح والشمس، بخلاف الثمار التي تنشأ (في الضلال) (ابن القيم، د.ت.) وإذا كانت الجنة بمكان مرتفع لم يخش عليها إلا من قلة الماء والشراب فقال تعالى: أَصابَها وابِلٌ وهو المطر الشديد العظيم القدر، فأدت ثمرتها وأعطت بركتها، فأخرجت ثمرتها ضعفي ما يثمر غيرها أو ضعفي ما كانت تثمر بسبب ذلك الوابل. فهذا حال السابقين المقربين...". (ابن القيم، د.ت.) وقال ابن عجيبة: "كَمَثَلِ جَنَّةٍ أي: بستان بِرَبْوَةٍ بمكان مرتفع، فإن شجره يكون أحسن منظراً وأزكى ثمراً..." (الفاسي، د.ت.) وقال ابن عاشور: "وَالرَّبْوَةُ بِضَمِّ الرَّاءِ وَفَتْحِهَا مَكَانٌ مِنَ الْأَرْضِ مُرْتَفِعٌ دُونَ الْجُبَيْلِ. وَقَرَأَ جُمْهُورُ الْعَشَرَةِ بِرُبْوَة بِضَمِّ الرَّاءِ وَقَرَأَهُ ابْنُ عَامِرٍ وَعَاصِمٌ بِفَتْحِ الرَّاءِ. وَتَخْصِيصُ الْجَنَّةِ بِأَنَّهَا فِي رَبْوَةٍ لِأَنَّ أَشْجَارَ الرُّبَى تَكُونُ أَحْسَنَ مَنْظَرًا وَأَزْكَى ثَمَرًا فَكَانَ لِهَذَا الْقَيْدِ فَائِدَتَانِ إِحْدَاهُمَا قُوَّةُ وَجْهِ الشَّبَهِ كَمَا أَفَادَهُ قَوْلُ ضِعْفَيْنِ، وَالثَّانِيَةُ تَحْسِينُ الْمُشَبَّهِ بِهِ الرَّاجِعُ إِلَى تَحْسِينِ الْمُشَبَّهِ فِي تَخَيُّلِ السَّامِعِ" (الطاهر، ١٩٨٤م).

ما تقدّم من كلام المفسرين يؤكد على امتياز الجنة التي في المكان المرتفع على غيرها من الجنان في الوهاد أو في الأراضي المستوية. إلا أن الإمام الرازي استشكل ذلك، وذهب إلى أنّ الربوة هنا المقصود بها الأرض المستوية الغنية في طبيعتها لكونها ترتفع بالنباتات إذا نزل عليها المطر، وذلك في وقوله: "وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُفَسِّرِينَ قَالُوا: الْبُسْتَانُ إِذَا كَانَ فِي رَبْوَةٍ مِنَ الْأَرْضِ كَانَ أَحْسَنَ وَأَكْثَرَ رَيْعًا. وَلِي فِيهِ إِشْكَالٌ: وَهُوَ أَنَّ الْبُسْتَانَ إِذَا كَانَ فِي مُرْتَفَعٍ مِنَ الْأَرْضِ كَانَ فَوْقَ الْمَاءِ وَلَا تَرْتَفِعُ إِلَيْهِ أَنْهَارٌ وَتَضْرِبُهُ الرِّيَاحُ كَثِيرًا فَلَا يَحْسُنُ رَيْعُهُ، وَإِذَا كَانَ فِي وَهْدَةٍ مِنَ الْأَرْضِ انْصَبَّتْ مِيَاهُ الْأَنْهَارِ، وَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ إِثَارَةُ الرِّيَاحِ فَلَا يَحْسُنُ أَيْضًا رَيْعُهُ، فَإِذَنْ الْبُسْتَانُ إِنَّمَا يَحْسُنُ رَيْعُهُ إِذَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ الْمُسْتَوِيَةِ الَّتِي لَا تَكُونُ رَبْوَةً وَلَا وَهْدَةً، فَإِذَنْ لَيْسَ الْمُرَادُ مِنْ هَذِهِ الرَّبْوَةِ مَا ذَكَرُوهُ، بَلِ الْمُرَادُ مِنْهُ كَوْنُ الْأَرْضِ طِينًا حُرًّا، بِحَيْثُ إِذَا نَزَلَ الْمَطَرُ عَلَيْهِ انْتَفَخَ وَرَبَا وَنَمَا، فَإِنَّ الْأَرْضَ متى كانت على هذه الصفة يكثر ربعها، وَتَكْمُلُ الْأَشْجَارُ فِيهَا، وَهَذَا التَّأْوِيلُ الَّذِي ذَكَرْتُهُ مُتَأَكَّدٌ بِدَلِيلَيْنِ أَحَدُهُمَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَتَرَى الْأَرْضَ هامِدَةً فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ) (الْحَجّ: ٥) وَالْمُرَادُ مِنْ رَبْوِهَا مَا ذَكَرْنَا فَكَذَا هاهنا وَالثَّانِي: أَنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ هَذَا الْمَثَلَ فِي مُقَابَلَةِ الْمَثَلِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ كَانَ الْمَثَلُ الْأَوَّلُ هُوَ الصَّفْوَانَ الَّذِي لَا يُؤَثِّرُ فِيهِ الْمَطَرُ، وَلَا يَرْبُو، وَلَا يَنْمُو بِسَبَبِ نُزُولِ الْمَطَرِ عَلَيْهِ، فَكَانَ الْمُرَادُ بِالرَّبْوَةِ فِي هَذَا الْمَثَلِ كَوْنَ الْأَرْضِ بِحَيْثُ تَرْبُو وَتَنْمُو، فَهَذَا مَا خَطَرَ بِبَالِي وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ" (الرازي، ١٩٩٩م).

وفائدة هذه الإشارة القرآنية بيان فضيلة الزراعة والحثّ عليها وعلى الإنفاق والتكافل والتعاون، من أجل ضمان التنمية المستدامة، وتكثير الثواب بالنفقة لضمان السعادة الأخرويّة.

الإشارات القرآنية إلى أثر التربية في اختلاف ألوان وأذواق النباتات

استخدم الباحث تخصيص جزء كبير نسبيا من ورقتك أو رسالتك لنتائجك (النتائج والبيانات والأدلة التجريبية). ويتاح للباحث كتابة معلومات تتعلق بالنتيجة كالمقدمة من الشخصية والصورة العامة عن النتيجة ببيان علاقة هذه المعلومات بالنتيجة.

التربة هي الطبقة السطحية التي تتألّف من جزئيات غير عضوية وعضوية والتي تغطي معظم سطح الأرض. وتوفّر التربة الدعم الهيكلي ومصدر المياه والعناصر المغذّية للنباتات المستخدمة في الزراعة، وتختلف أنواع التربة اختلافًا كبيرًا في الخصائص الكيميائية والفيزيائية والتي تعتمد على عمر التربة وعلى الظروف كالمواد الأساسية والمناخ والتضاريس والغطاء النباتي بموجبها تم تشكيلها. وهناك خمسة أنواع للتربة، التربة الرملية، التربة الطينية، التربة الطمية، التربة الطَّفاليّة، تربة الخثّ. ولكلّ واحدة من هذه الأنواع خصائصها التي تميّزها عن غيرها، وحسب قول بعض الباحثين تعتبر التربة الطَّفاليّة أفضل أنواع التربة الزراعية، حيث تتكون من نسبة ٤٠٪ من الرمل، و٤٠٪ من الطمي، و٢٠٪ من الطين. (Rosepedia, 2017).

وقد دلت الإشارة القرآنية في سورة الرعد، الآية: ٤، إلى أثر التربة في اختلاف المزروعات في الطعم، رغم كونها أراض متجاورة، وتسقى بماء واحد. والحكمة من ذلك أنّها مختلفات بتخصيص الله تعالى لها بمعان وأوصاف، سبخة، عذبة، طين، رمل..الخ (ابن عطية، ٢٠٠١م) وذلك في قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٤﴾، (الرعد: ٤). قال الطبري: "يقول تعالى ذكره (وفي الأرض قطع متجاورات): وفي الأرض قطع منها متقاربات متدانيات يقرب بعضها من بعض بالجوار، وتختلف بالتفاضل مع تجاورها وقرب بعضها من بعض، فمنها قطعة سبخة لا تنبت شيئا في جوار قطعة طيبة تنبت وتنفع" (الطبري، د.ت.) وقال القشيري: أي: قطع متجاورات "من سبخ ومن حجر، ومن رمل.. أنواع مختلفة، وأزواج متفقة. وزروع ونبات وأشجار أشتات" (القشيري، د.ت.).

وقد أثبتت الدراسات الحديثة في الزراعة أنّ هناك أنواعا متعدّدة من التربة، وأنّ لهذا التنوّع أثرا بارزًا في ألوان وأذواق النباتات والثمار. كما يكون له أثر في زيادة الإنتاج وقلّته. وهناك عوامل كثيرة تؤثّر في النباتات، وأهمّ تلك العوامل التربة الزراعية التي تزرع فيها النبات وطبيعة وحجم وتركيب حبيباتها، ونسبة كل من الحصى والرمل والطين والغرين فيها، وما تحتويه تلك التربة من هواء ومعادن وأملاح ومخصبات عضوية وغير عضوية وكائنات حية نباتية وحيوانية دقيقة، ودرجة حموضتها وتهويتها وصرفها ومكان وجودها وارتفاعها أو انخفاضها (موسى، ٢٠١٠م).

ومن العوامل المؤثرة علاوة على التربة، مياه الريّ في الزراعات الحديثة، وكذلك الحالة الجوية من حرارة وضوء ورطوبة، ورياح وغيرها، ومنها الخدمة الزراعية، من حيث تهيئة الأرض، واستصلاحها (موسى، ٢٠١٠م).

الخلاصة

الدراسة كشفت عن نتائج مهمة حول علاقة الإنسان بالأرض وكيفية تحقيق التوازن بين هذه العلاقة ومسؤوليته في الاستخلاف. تبين أن الأرض هي أصل الإنسان ومصدر رزقه، ويجب عليه الاعتناء بها من خلال الزراعة والعمران. كما أشارت الدراسة إلى ثلاث علاقات متلازمة للإنسان: علاقته بالله، وعلاقته بالأرض، وعلاقته بالبشر، مطالبة بالحفاظ على هذه العلاقات بالعدل والطاعة. وفي سياق الزراعة، أظهرت الدراسة أهمية التنمية المستدامة والتعاون الاقتصادي والاجتماعي. كما أشارت إلى تشجيع القرآن على الإنفاق والتكافل من خلال الزراعة لضمان الرخاء والسعادة الأخروية. الدراسة نوهت أيضًا إلى فضيلة زيادة الإنتاج والمكافأة المترتبة على الإنفاق في سبيل الله، مؤكدة على أهمية دور الإنسان في تحقيق التنمية واستصلاح الأرض لتحقيق فوائد اقتصادية واجتماعية. بالإضافة إلى ذلك، تسلط الدراسة الضوء على تنوع النباتات والثمار الذي يعكس قدرة الله على خلق أصناف وألوان متنوعة من خلال استصلاح الأرض.

المصادر والمراجع

ابن القيم، محمد بن أبي بكر. (١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م). *تفسير ابن القيم*. تحقيق إبراهيم رمضان وآخرون، بيروت: دار ومكتبة الهلال

ابن عاشور، محمد الطاهر. (١٩٨٤م). *التحرير والتنوير*. تونس: الدار التونسية للنشر

ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي الفاسي.(١٤١٩هـ/١٩٩٨م). *البحر المديد في تفسير القرآن المجيد*.تحقيق رسلان، أحمد عبد الله القرشي. القاهرة: زكي، حسن عباس

ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي، تفسير ابن عطية. (١٣٢٢هـ/ ٢٠٠١م). *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد. بيروت: دار الكتب العلميّة

الأمراني، محمد أحمد. (١٩٩٩م).*كيف حثّ الإسلام على الزراعة والغراسة من خلال القرآن والحديث والفقه*. مجلة دعوة الحقّ، العدد ٣٤٠

أنواع التربة. (٢٠١٧م). من الموقع الإلكتروني: https://www.rosepedia.com/agricultural-soil-types.html

البخاري، محمد بن إسماعيل. (٢٠٠١م). *صحيح البخاري*. تحقيق محمد زهير الناصر. بيروت: دار طوق النجاة.

البشتاوي، حاتم، (فأخرجنا منه خضرا). (٢٠١٧م). *مقال نشر في مجلّة بيّنات، نشرة تصدرها الجمعية الأردنية لإعجاز القرآن والسنّة*. العدد ٦. عدد خاص مناسبة اليوم العالمي الخامس عشر، عمّان: الأردن

البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي. (١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م). *تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)*. تحقيق المرعشلي، محمد بن عبد الرحمن. بيروت: دار إحياء التراث العربي

توفيق علي الشريف. (١٤٣٢هـ). *ضوابط إحياء الأراضي الموات*. مجلة العدل، العدد ٤٩

جمال يوسف عبد الرحمن. (٢٠١٥م). *الحرث والزرع في القرآن الكريم*. فلسطين: جامعة النجاح الوطنية نابلس

الطبري، محمد بن جرير. (٢٠٠١م). *جامع البيان في تفسير آي القرآن*. تحقيق التركي، عبد الله بن عبد المحسن، مصر: دار هجر للطباعة والنشر

العز بن عبد السلام، عبد العزيز بن عبد السلام. (١٩٩٦م). *تفسير العز بن عبد السلام*. تحقيق الوهبي، عبد الله بن إبراهيم. بيروت: دار ابن حزم

فخر الدين الرازي، محمد بن عمر. (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م). *مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)*، بيروت: دار إحياء التراث العربي

القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري. (١٩٦٤م). *الجامع لأحكام القرآن*. تحقيق البردوني، أحمد، وأطفيش، إبراهيم. القاهرة: دار الكتب المصرية

القشيري، عبد الكريم بن هوازن. *لطائف الإشارات (تفسير القشيري)*. تحقيق البسيوني، إبراهيم، ط٣. مصر: الهيئة المصريّة

الماتريدي، محمد بن محمد أبو منصور. (٢٠٠٥م). *تفسير الماتريدي*. تحقيق باسلون، مجدي، ط١. بيروت: دار الكتب العلمية

محمد عبد الهادي الشيخ. (٢٠٢٣م). *النظام الزراعي في القرآن والسنة ومظاهر إعجازه*. من الموقع الإلكتروني: https://www.islamland.com/uploads/books/%

مسلم بن الحجاج. (١٩٥٥م). *صحيح مسلم*، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي

نظمي خليل أبو العطاس موسى. (٢٠٢٣م). *العوامل المؤثّرة في اختلاف النباتات في اللون والطعم*. أخبار الخليج – الملحق الإسلامي – العدد ١١٩٠٧. من الموقع الإلكتروني: https://quran-m.com/%